[78] (الأوّل) و (الآخر) و (الظاهر) و (الباطن) إلاّ أنّها غير متنافية ويمكن جمعها في مفهوم الآية . فتارةً قالوا : انّه الأوّل قبل وجود أي شيء وهو الآخر بعد هلاك كلّ شيء ، ودلائل وجوده ظاهرة ولا يمكن إدراك باطن ذاته . وتارةً قالوا : هو الأوّل ببرّ ِه حيث هدانا ، والآخر بعفوه حيث يقبل التوبة ، والظاهر بإحسانه وتوفيقه عند طاعته والباطن في ستر عيوب العباد عند المعصية (الأوّل ببرّه إذ هداك والآخر بعفوه إذْ قبل توبتك ، والظاهر بإحسانه وتوفيقه إذا أطعته ، والباطن بستره إذا عصيته)(1) وقد ورد أنّ النبي ((صلى ا عليه وآله وسلم)) كان يقول في دعائه : (اللهمّ أنت الأوّل فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء)(2). على أيّ ِ حال فانّ الآية أعلاه إضافةً إلى إثباتها ـ خلافاً لما تعتقده الصوفية ـ إستقلالية الخالق عن المخلوق ، والمخلوق عن الخال تبيّن هذه الحقيقة وهي أنّ ذاته المقدّسة غير متناهية ومطلقة ، أي هو وجود بلا عدم ، ولو أنّا تدبّرنا حقيقة الوجود جيّداً ونزّهناه من العدم فسوف نصل إلى ذاته المقدّسة ، وهذا جوهر برهان الصدّيقين وروحه . ومن البديهي أنّ الموجود المحدود يكون موضعه إمّا في البداية أو النهاية ، وإمّا في ظاهر الأشياء أو باطنها ، واتّصاف ا سبحانه بأنّه الأوّل والآخر والظاهر والباطن هو لكونه وجوداً غير متناه . هو نور العالم في الآية الخامسة والأخيرة نقرأ في جملة قصيرة وغزيرة المعنى : (ا نورُ السموات والأرض) .

_____ 1 ـ مجمع البيان ، تفسير الميزان ، تفسير الفخر الرازي ، روح البيان . 2 ـ تفسير القرطبي : 9/6406 .